الوظائف الحجاجية في خطب الامام الحسن (ع)

م.م عصام راضي حسون

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

الكلمات المفتاحية : الوظيفة، الحجاج، الخطاب، الخطب، البنى الحجاجية، الحجاج اللغوي، الحجاج البلاغي، الاستشهاد القرآني، التحليل، السّلم الحجاجي .

المستخلص

اعتمدت خطب الامام الحسن (عليه السلام) في مضمونها على الحجاج اللغوي والبلاغي والمنطقي، بوصفها اليات وتقنيات الحجاج المعتمدة، والتي نجدها في اكثر الخطابات الوظيفية التي يؤديها في الخطاب، والمقصد الذي يرمي اليه، وقد اصبح من الموضوعات التي احتلت وحظيت مكانة مرموقة واهتماما واسعا في الدراسات العربية، وذلك بالبحث في اشكالاته واطره ومنطلقاته لدى الدارسين الغربين، حيث يقع الحجاج في صلب نظريات تحليل الخطاب، بعدّ الخطاب نسقا من العناصر الداخلية الصوتية والصرفية والتركيبية وحتى البلاغة الفنية والمنطقية .

مُقدمة

أرسل الله تعالى رسوله الكريم – صلى الله عليه واله وسلم–، بالهدى ودين الحق ليظُهرهُ على الدين كلهِ ولو كره المشركونَ، وأنزل اليه الكتاب ليُخرجَ الناسَ من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الرحيم، وجعل من الخطابة بابا للبيان لنشر دينه الحنيف. لقد عمل الامام الحسن المجتبى بكل ما أوتي من سعةٍ وقوة الى ابراز منهجهم، وجعل الناس على بينة من امرهم وعلى محجة بيضاء وإظهار كيد الكائدين وبطلان سبلهم، وهذا ما ظهر من خلال خُطبهِ ورسائلهِ التي ناظر بها اعداءه اوردَّ عليهم بما افحمهم وابان صغرهم امام عظمته وفساد منهجهم مقابل حُسنِ منهجهِ، وقد تبين ذلك خلال دراسة الخطب، وقد ظهر أيضا في كلماته القصيرة التي ابانت رايه في أمور ومعان شتى، وكشفت عُمق نظراته الثاقبة من مناحي الحياة كافة، لذا وجدت من المناسب ان ادرس ذلك من خلال الوظائف الحجاجية في خطابه – عليه السلام – والتي افاض النقاد المحدثون بالكلام عنها وقصدوا بها – الحجة – أي القصد وسوف يأتي البيان عنها في سياق البحث .

لقد ظهرت هذه الوظائف في خطب الامام الحسن – عليه السلام – سواء في ذلك السياسي، اوالتعبدي عند ذكر خالقه سبحانه وتوحيده وحمده اوذكر كتابه المبين، او خطبه الوعظية والارشادية عند تعامله مع الرعية، ووسمتُ البحث بـ ((الوظائف الحجاجية في خطب الامام الحسن عليه السلام)) لان الوظائف البيانية شكلت ظاهرة في خطبه – عليه السلام – ولتكون بلاغته التي برزت من خلال مواقفه سبيلا لإبراز معالم شخصيته التي استحق بها هذه المكانة العالية التي بوَأها له الله تعالى اذ جعله من اهل البيت عليهم السلام، وبَوأها له اذ جعله واخاه الامام الحسين – عليهم السلام – سيدي شباب اهل الجنة وامامين قاما اوقعدا ؛ لذلك كانا محط العناية الشديدة لأبيهما امير المؤمنين وامهما فاطمة الزهراء بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم –. والادب سواء كان شعرا ام نثرا هو ضرب من ضروب الخطاب لا يخلو من الحجاج (1) لذا اقتضى البحث ان يكون في أربعة محاور تسبقه مقدمة

وتمهيدا وتلحقه خاتمة وثبت بأهم المصادر والمراجع، كان المحور الأول : الحجاج البلاغي في وظيفة التوبيخ والتقريع، اما الثاني فتناولت فيه الحجاج بالاستشهاد في النص القرآني وخصص المحور الثالث في : الحجاج اللغوي في وظيفة أسلوب الخبر، والمحور الرابع والأخير تناولت فيه الحجاج اللغوي في وظيفة أسلوب الانشاء. واستقيت خطابه الشريف من المصادر التي روت تراث أهل البيت عليهم السلام، كما افدت من الدراسات الحديثة التي كتبت عن الامام الحسن (عليه السلام)، عسى ان يعلى وفقني الله تعالى لكشف النقاب عن شيء من الدُّر المكنون لهذا التراث الثَّر، وإبراز الوظائف الحجاجية في خطبه بما يبين دفاع الامام عن احقية اهل البيت – عليهم السلام – ويرفع الظلم عن شخصية فريدة عاشت في ظروف عصيبة حاول المغرضون تشويه معالم قوتها، اوتقويض مسارات تأثيرها، فما استطاعوا الى ذلك سبيلا بفعل نصر الله لها، وبفعل ما قدمته من مواقف وتراث اصيل فألجمت اعداءها – على كثرتهم وحساسية مراكزهم – وكشفت زيف اباطيلهم واسقطت اقنعتهم .

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمي

تمهيد

.مدخل

يهدف منشئ النص الفني وغير الفني، إلى أيصال أفكاره وآرائه إلى المتلقي، على وفق ما ينسجه من منظومة كلامية، فيعمل على تكريس قدراته ومهاراته ؛ لاستمالة المتلقي والتأثير فيه، وهذا ما يعمل عليه الخطيب في نتاجه الفني، لما يمتاز به مفهوم الخطابة، القائم على اساس ((الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان))[2]، ولقد حدد أرسطوالذي يعُد من أوائل الذين أصلوا لهذا الفن، ثلاثة أنواع للخطابة وهي: ((القضائية – المشورية – الاستدلالية))[3] ويهدف الخطيب في كل نوع من هذه الانواع، إلى نوع من الخطاب يختلف باختلاف توجه الخطيب ف((المشورية : يتقدم بها الخطيب لسامعيه ناصحا أومحذرا في امور مستقبلية قضائية : يتوجه فيها إلى الاتهام أوالدفاع في أمور ماضوية استدلالية : مدحا أوذما في أمور وحاضرة قد يعود فيها الخطيب إلى الماضي أويتجه إلى المستقبل))[4]، وبحسب ما ذكره ارسطو في ((دستور الخطابة))[5]، وما كشفت عنه النصوص الخطابية المدروسة .

ويرى ابن الاثير نصر الله بن محمد (المتوفى: 637 هـ) في المثل السائر : ان الكلام المتضمن بلاغة ليس الغرض منه ذكر بلاغته فقط، بل الغرض منه ((ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم الى الإذعان والتسليم، واذا حقق النظر فيه علم ان مدار البلاغة كلها عليه؛ لأنه انتفاع بإيراد الالفاظ المليحة الرائقة،

والمعاني اللطيفة الدقيقة دون ان تكون مستجلية لبلوغ غرض المخاطب بها))([6]) فالغاية من الكلام البليغ عند ابن الاثير – والحال هذا – هي غاية حجاجية بحتة .

. التعريف بصاحب الخطاب :

نشأ الامام الحسن (عليه السلام) في بيت جده رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الذي حوى بيت أمير المؤمنين وزوجه السيدة الزهراء بنت رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فكان لتلك النشأة أكبر الاثر في منطق الامام الحسن (عليه السلام)، وقوة شخصيته، وسديد حجته التي افحمت خصومه فلم يستطيعوا لها دفعا، ولا ردا الا بما يظهر صغرهم امام عظمته وانهزامهم أمام ثباته فاتخذوا سبل المكر والخداع، وسائل لإيذائه، والتعتيم على شخصيته او تشويه الحقائق والقراءة المغلوطة للأحداث من خلال التعتيم الاعلامي على تلك الشخصية اوتجميد من يؤذيه علنا اوسرا فلما لم تنفعهم الوسائل واعيتهم الحيل لجأوا الى اغتياله بالسّم كما اوردت ذلك الكتب التي ترجمة للائمة المعصومين وكتب التاريخ ([7]) أن من يتفحص شخصية الامام الحسن الزكي عليه السلام يجد فيها ما يأتي ([8]) :

1- الصفات والمميزات التي امتاز بها الامام، واخفق حاسدوه في الوصول اليها مثل : نسبه الكريم وحسبه الشريف فهو سبط رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وسيد شباب اهل الجنة وابن امير المؤمنين وابن سيدة نساء العالمين عليها السلام، وقد اعترف بذلك الاعداء قبل الاصدقاء .
2- اعداد الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) له ولأخيه الامام الحسين عليه السلام ((لتسلم مقاليد الحركة النبوية العظيمة والهداية الربانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الالهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين...)) ([9]) .
3- منطقه وقوة حجته المتأتيان من علمه الذي كانت اهم منابعه :

أ- العلم اللدني الالهي ولا ريب في ذلك فالأمام الحسن المجتبى الزكي ثاني أئمة اهل البيت عليهم السلام وهم عدل القرآن، وكان علمهم لدني الهيأة وقد اورد الجاحظ في ذلك نقلا عن الامام جعفر بن محمد الصادق، عن ابائه عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : ((أن ابرار عترتي واطايب ارومتي احلم الناس صغارا واعلمهم كبارا الا وانا من اهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا وان تتبعوا اثارنا تهتدوا ببصائرنا وان لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا معنا راية الحق من تبعنا لحق ومن تأخر عنا غرق الا وان بنا ترد دبرة كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذل من اعناقكم وبنا فتح وبنا ختم لا بكم)) ([10]) .

ب-العلم المتوارث من جده وابيه المرتضى وامه فاطمة الزهراء لا سيما المعرفة الدقيقة بالقرآن الكريم نستشف ذلك مما ذكر سليم بن قيس الهلالي عند اشارته الى عناية امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام بالقرآن الكريم ومتابعته لكل صغيرة وكبيرة فيه ابتداء من يوم نزول اول ايه فيه ومراجعته مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ومذاكرته مع كل يوم ومعرفة دقائقه وخفاياه فينقل سليم بن قيس الهلالي قول الامام علي عليه السلام مجيبا عن سؤال وجه له حول تلقفه القرآن من رسول الله عليه وسلم ((وكنت ادخل على رسول الله صلى الله عليه واله في كل يوم دخلت وفي كل ليلة دخلت فيخليني فيها ادور معه حيث دار وقد علم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري وربما كان ذلك في منزلي يأتيني رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ... فاذا كان في بيتي لم يقم من عندنا فاطمة ولا احد من ابني)) ([11])، وهذا يدل على مقدار علم امير المؤمنين ع والسيدة فاطمة الزهراء ع والحسنين ع بهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فمعلمهم رسول الله ص الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى، ولا ريب فهم أهل البيت ع وحق لهم ان يكونوا عدل القرآن كما اشار الى ذلك رسول الله في حديث الثقلين : ((اني قد تركت فيكم امرين لن تضلوا بعدي ما ان تمسكتم بهما: كتاب الله وعترتي اهل بيتي، فان اللطيف الخبير قد عهد الي انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين – وجمع بين مسبحته – ولا اقول كهاتين – وجمع بين المسبحة والوسطى – فتسبق احداهما الاخرى، فتمسكوا بهما لا تزلوا ولا تضلوا ولا تقدموهم فتضلوا)) ([12]) . **وعلاوة على ذلك فقد شهد ببلاغته عليه السلام العلماء والمؤرخون، ومن تلك الشهادات :**

1- قال الجاحظ ابوعثمان عمروبن بحر (ت 255هـ) عن الامام الحسن المجتبى (عليه السلام)، سيد الشباب، والمصلح بين الاقارب والاحباب، شبه رسول الله (ص) وحبيبه، سليل الهدى، وحليف اهل التقى، خامس اصحاب الكساء، وأبن سيدة النساء، الحسن بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)([13]) .

2- قال الحافظ السيوطي : سبط رسول الله وريحانته وآخر الحلفاء بنصّه، وهو خامس اصحاب الكساء ([14]) .

3- وقال الحافظ ابن كثير الدمشقي : عنه عليه السلام، وقد كان الصّديق يجلّهُ ويعظمهُ ويكرمهُ ويحبهُ ويتفداه، وكان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين (عليهم السلام) اذا ركبا، ويرى هذا من النعم عليه، وكانا اذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونها مما يزدحمون عليها السلام . ([15])

4- وقال الحافظ ابن عساكر الشافعي عنه : هو سبط رسول الله وريحانته، وأحد سيدي شباب أهل الجنة.([16])

5- وقال عنه ايضا : كان الله قد رزقه الفطرة الثاقبة في إيضاح ما يعانيه، ومنحه النظرة الصائبة لإصلاح قواعد الدين ومبانيه ([17]) .

6- وقال عنه ابن الاثير : وهو سيد شباب اهل الجنة، وريحانة النبي (ص) وشبيهه، سماه النبي الحسن، وهو خامس اصحاب الكساء ([18]) .

وعلاوة على هذه الشهادات من العلماء والمؤرخين توجد شهادات كثيرة أخرى بحق الامام الحسن(عليه السلام)

وظائف الحجاج في مختارات من خطب الامام الحسن (عليه السلام)

وجد الباحث فيما اطلع عليه من خطب الامام الحسن (عليه السلام)، وظائف مختلفة للحجاج فيها، وقد لخصها في أربع وظائف أساس، وافرد لكل وظيفة منها مبحثا، وهذا الافراد والتفصيل سيوضح ويكشف عن تلك الوظائف في الخطب .

اولا: الحجاج البلاغي في وظيفة التوبيخ والتقريع .

وجد الباحث بعد مراجعته لخطب الامام الحسن (عليه السلام) – موضوع البحث – أنه قد اغنى وظائف الحجاج المختلفة بما تناوله من موضوعات في خطبه الغنية، واهم مايميز مواطن الحجاج في تلك الخطب :

اولا: في النص الكثير من البنى الحجاجية الواضحة مثل (الحجاج بالاستفهام) على وفقا لنظرية المسألة الحجاجية عند مايير وهذه البنى مؤشر لها في بنية الاقوال نفسها ([19]) مثلاً:

أ – (وانشدكم الله ألستم تعلمون انه كان صاحب راية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يوم بدر، ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله (ص) .

في النص حجاج واضح غايته الاقناع بمنزلة الامام الحسن (عليه السلام)، الذي شرّع سُنة شتمه معاوية على المنابر، والاستفهام هنا لغاية اقناعية . كيف : يحدد المتكلم الحقيقة الإشكالية للمسافة بين المتكلم والمتلقي، وهنا تكمن (في منزلة ال البيت عليهم السلام) فالسؤال الحجاجي هدفه إثارة المتلقي نحو جهة معينة من الخطاب دون إلزام اوصرامة، وهنا نبحث عن أجوبة ؛ بل كسب الجواب (المتوهم) المرشح مثلاً ماذا تكون إجابة السؤال أعلاه؟؟

نعم كان الامام الحسن عليه السلام صاحب راية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، اذا لما تنكرون حق بيته.

ثانيا : توظيفه لروابط حجاجية كثيرة في خطبه، والحجج المربوطة بوساطة هذه الروابط ينبغي ان تنتمي الى فئة حجاجية واحدة، أي انها تخدم نتيجة واحدة، ثم ان الحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى ([20]). ومن امثلته في خطب الامام عليه السلام قوله: ((واعلموا يقيناً انكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه)) الرابط الحجاجي (واوالعطف)، الذي يقوم بترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، لغرض تقوية هذه الحجج ووضعها بشكل نسقي افقي .

ثالثا : استعمال الحجة والدليل النقلي والعقلي لإقناع السامعين ولاسيما من القرآن الكريم واحاديث رسول الله (ص) والاقوال المأثورة والابيات الشعرية السائدة والأمثال العربية .

رابعا: الحجاج بالمسألة :

ونجدها في قوله: ((وأنشدكم الله يا معاوية، أتذكر يوما جاء ابوك على جمل أحمر، وانت تسوقه، وأخوك عُتبه هذا يقوده، فرآكم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال : (اللهم العن الراكب والقائد والسائق).

هنا يتجلى الحجاج بأكثر من بُنية :

أ. بنية المسالة، حيث يعمد الباث الى طرح إشكالية تواصلية بينه وبين المتلقي مفادها (الخلاف والاختلاف)، وهنا يشتد الحجاج بالمسألة الى الحجة البرغماتية، إذ يكون الاستنتاج، ان الخلاف واضح وبيّن بينكم وبينَ رسول الله صلى الله عليه واله وسلم .

ثم يعمد الباث الى الحجج المؤسسة على بُنية الواقع التي بضمنها: حجاج اقناعي وهو:

1 –يوم جاء ابوك .

2– وانت تسوقه .

3 – اخوك عتبه يقوده .

ت–بنية التتابع :

هنا تتابع الحجج بترتيب سّلمي منطقي حجج (التتابع)، وهي حجج تبنى على وقائع حدثت بالفعل .

1– عملية التذكير التي صرح بها الباث عملية حجاجية لحث المتلقي على الانسجام بالخطاب وكسب إقناعه بالسؤال .

2– حجج التتابع بدأت بسلم حجاجي الذي قصد اليه الباث من النوع المرتب ترتيبا قصدياً أي ان الباث قصد كُل مرتبة تناولها (اعلى من الابن) الاب معاوية عتبة (اخر السلم)

حجة الاستشهاد في النص القرآني :

وهي نوع من الحجج، غايتها توضيح القاعدة، وتكشف حضور الأفكار في الذهن، والقرآن الكريم اهم مصدر لهذه الاشكال الحجاجية. ولمّا كانت الثقافة القرآنية هي الغالبة على أسلوب المنشئ في خطابه الفني، عمدتُ لتوظيف النص القرآني من خلال فن ((االاستشهاد)) الذي تجلى في خطب الأمام الحسن (عليه السلام) ([21]) . فهم انوارٌ هداةٌ، قادةٌ سادات (ينحدرُ عنهم السيل ولا يرقى اليهم الطير)، ونستشف الاستشهاد القرآني في مواضع عديدة من خطبه مثلا في قوله: ((اتقوا الله فإنا امراؤكم، وانا اهل البيت الذين قال تعالى فينا : ((انما يُريدُ الله ليُذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا))([22]) . نلاحظ حجة الاستشهاد القرآني واضحة في الابانة عن صواب هذا الامر بالحجة .

ونجد الاستشهاد القرآني أيضا في موضع اخر من الخطبة بقوله: (والله لما اخفيت من امرك اكبر مما ابديت، وانشدكم الله أيها الرهط، اتعلمون ان عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فانزل فيه : ((يايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم))([23]) أيضا نتلمس الاستشهاد بالقرآن الكريم واضح جدا .

ثانيا: الحجاج اللغوي في توظيف الأسلوب الخبري :

الخبر لغة : ((هوالعلم بالشيء))([24])

الخبر اصطلاحا: لم يتفق البلاغيون العرب على تعريف واحد للخبر، ولكن تعريف الخطيب القزويني (ت 739هـ) هو الاكثر شيوعاً، يقول ((أختلف الناس في انحسار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى انه منحصرٌ فيهما، ثم اختلفوا فقال الأكثر منهم : صدقهُ مطابقة حكمه الواقع، وكذلك عدم مطابقة حكمه له، هذا هو المشهور وعليه التعويل))([25]) ونظر ابن الاثير (ت637هـ) إلى الخبر من زاوية اخرى فهويقدم لنا تعريفاً للخبر حين قال ((والخبر كل قولٍ أخذت به مستمعهُ مالم يكن عنده))([26]) فهو لا ينظر الى صدقية الخبر أوكذبه أنما جعل الفائدة هي المرجوة من الاتيان بالخبر .

وقد وردّ في اسلوب الخبر في خطاب الامام الحسن (عليه السلام) عدة انواع منها :

1- أسلوب الخبر الابتدائي : وهو الخبر الذي لا يحتاج الى مؤكد ليتم معناه كقوله عليه السلام : ((أما بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتموني، ولكنك شتمتني ....))[27] . فجاء بالألفاظ (شتموني، شتمتني) ليبعث فيهم عظم الموقف والذنب الذي اقترفوه من خلال الشتم، والغاية هنا استثارة العواطف فالباث يدفع المتلقي (للاختيار) الطوعي والاقتناع ، ولّما تحملهُ هذه الالفاظ من بعداً تداولياً، يوقظ الاذهان ويثير فيها عظم الموقف، ولكنه لا يخرج في دلالاته عن وظيفة اساسية وهي وظيفة التوبيخ لهؤلاء القوم الفاسقون .

2- أسلوب الخبر المؤكد ب(إن) واللام : هنا يطرح الباث اشكالا خطيراً يمُسُ صلب الخلاف الذي امضى بمعاوية الى السلطة، وهذا ما تجلى في قوله عليه السلام : ((أتعلمون أنّ الذي شتمتموه منذ اليوم، صلى القبلتين كلتيهما ...))[28]، والحجاج بالسؤال مثل قوله: ((وانشدكم الله هل تعلمون انه بايع البيعتين كلتيهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان))[29]، ((وانشدكم الله هل تعلمون انه اول الناس ايماناً ...))، ((وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع ابيه)) .

3- أسلوب النفي : هو اسلوب خبري نعني به النقض والإنكار لدفع ما يتردد في ذهن السامع وشاع هذا الاسلوب بأدوات نفي كثيرة منها :

أ- لا النافية : تدخل على الاسم والفعل على حدٍ سواء، وقد وردت في خطاب الامام الحسن (عليه السلام) مرات عدة، ويشكل تكرارها في خطابه ظاهرة ملحوظة، تنسجم مع اسلوبه عليه السلام الرافض للباطل واهله، ويبدوا ان للحالة النفسية التي عاشها المنشئ، أثرَ في وجود ظاهرة النفي في الخطاب الفني، ولكن المنشئ ألبس هذا الاسلوب ثوباً فنياً محبباً، غير ممجوج لدى المستمع، على الرغم من تكراره وقساوته، كونه يقدم من خلال توبيخ المتلقي وتقريعهُ ومن ذلك قوله عليه السلام في خطبته مع معاوية :

- (لا تسلمنْ يوما فتفضحنا ...) .
- (لا تركنْ إن أمر تكلفنا ...) .
- (يا معاوية أظنك لا تعلم أني أعلم ...) .
- (لا تصيب اللعنة احداً من الاتباع، وما القادة فلا يفلح منهم احداً). نتلمس البنى الحجاجية واضحة في خطابه عليه السلام من خلال دخول لا النافية على فعل الامر بقوله : (لا تسلمن ولا تركنن) وأسلوب النفي كما هو معلوم يبني واقعا جديدا واما النهي فانه يخاتل المعنى. علاوة على ذلك استخدامة أسلوب النداء في قوله: (يا معاوية اظنك) وهنا قصد به تجهيل المتلقي وهو(معاويه) بالخبر .

ب- ما النافية : وهي اداة تدخل على الفعل الماضي والمضارع، فاذا دخلت على الفعل الماضي تركتهُ على معناه من المضي، واذا دخلت على الفعل المضارع خصته للحال فتقول : ما قامَ زيدٌ وما يقوم))[30]، وهذا ما يتجلى في قوله (عليه السلام) مع معاوية :

- (أني اعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ..) .
- (فلما أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً ..) .
- (وبالله ما نصرت عثمان حياً) .

ولا يخفى على المتلقي، ما يضيفه اسلوب النفي بأدواته المتنوعة، من نقض وانكار للفعل الذي اقدم المخاطبون على ارتكابه، وعلو الحجاج الذي يقدمه المنشئ بأساليب متعددة، الهدف منه، توبيخ المخاطب وتقريعه كون جلّ هذه الاساليب الخبرية وحتى الانشائية، لم يكن تقديمها على اساس انتظار المنشئ لإجابة المخاطب؛ بل يمضي المنشئ، لتحقيق المنشود، كونه يعلم قصدية هؤلاء القوم، وعدم جدوى الاجابة كونهم لن يغيروا شيئاً من قناعات المنشئ المتحققة من الافعال التي ارتكبها المخاطب، وهذا ما سيتضحُ لنا من دراسة الاساليب الانشائية.

ثالثا: اسلوب الانشاء :

الانشاء لغة : ((هو الابتداء والابتداع))[31]

الانشاء اصطلاحا : ((هو كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، لأنه ليس للفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقهُ اولا يطابقه))[32] .

والانشاء ينقسم على قسمين : القسم الاول الانشاء الطلبي: ((هو الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب))[33] فان استعمل الانشاء الطلبي لمطلوب حاصل وقت الطلب أمتنع اجراؤه على معناه الحقيقي [34]. وهو على خمسة انواع هي (الامر والنهي والاستفهام والتمني والنداء))[35] . اذ لم يكن الاسلوب الخبري هو السائد في خطاب الامام الحسن عليه السلام ؛ بل كان لأسلوب الانشاء بشقيه (الطلبي) و(غير الطلبي) حضورا واضحا، ومؤثرا في بلورة الحجة وابراز الوظيفة الحجاجية في النص، ومن ذلك شاع اسلوبي الاستفهام، والنداء بشكل واضح في خطابه عليه السلام ، ومن مصاديق ذلك توظيفه لأسلوبي الاستفهام والنداء بمواقع عدة في الخطاب ومنها ما يتجلى في خطابه مع معاوية :

- (أتعلمون ان الذي شتمتموه منذ اليوم، صلى القبلتين ؟)
- (وانت يا معاوية بهما كافر تراها خلاله ..)

- (الستم تعلمون انه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ؟)
- (أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر ؟)
- (يا صخر لا تسلمنْ يوما فتفضحنا)
- (أتعلمون أن عليا حرم الشهوات على نفسه)

فمن يمعن النظر في الخطاب المذكر، وفي نوع الاستفهام يجدُ أن الامام الحسن عليه السلام قد وظف نوعاً من انواع الاستفهام الانكاري، اوالاستفهام المجازي، وهذا النوع من الاستفهام يتجلى في استعماله استعمال الاستفهام الذي عند اليه الى صيغة المضارع لُتثبت الدوام والاستمرارية في الشتم من قبل معاوية ويسوق لهم الحجاج بالتثميل (أتذكر يوما جاء ابوك على جمل احمر؟) . ويبدو أن المنشئ في استحضاره لهذا النوع من الاستفهام كان يوبخ المخاطب وينكر عليه (الكرامة) بما قدمه اسلوب الاستفهام من دلالة انكار الصيغة وخروجها الى اغراض (السخرية والانكار) باعتبار أن المنشئ لم يكن ينتظر الاجابة، لأن المعنى قد صرح به الاستفهام الانكاري عندما أقرَّ الاخفاء والإبطال ([36]) . فيكون المعنى على وفق ذلك (لا تظن يا معاوية بشتمك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تنال الكرامة)، وعلى هذا المستوى يأتي بقية الاستفهامات من اجل التوبيخ اوالتقريع والانكار، وهذا ما نجده في خطاب الامام (عليه السلام) لا بأسلوب الاستفهام فحسب؛ بل من خلال المباشرة بتوبيخهم وتقريعهم بألفاظ مباشرة من خلال أسلوب إنشائي أخر، ألا وهو أسلوب النداء بقوله :

- (يا صخر لا تسلمنْ يوماً فتفضحنا)

والنداء في ابسط تعريفاته هو إثارة أنتباه المنادى ليقبل عليك بشخصه، او بسمعه، فيتوجه إليك بعقله وفكره ليعي ما تقول ([37])، وقد خرج اسلوب النداء في الخطاب من معناه الاصل إلى معنى بلاغي، فلم يقصد المنشئ مناداتهم لحضورهم اواقبالهم عليها؛ بل كان الهدف التقريع، ونعت معاوية بالصفة التي يستحقها. وهذه الاساليب الاستفهامية والنداء بمجملها تقضي لوظيفة حجاجية وهي توبيخ وتقريع المخاطب وهو(معاوية) .

اما القسم الثاني فهو الانشاء غير الطلبي : ((وهو الذي لا يستدعي مطلوبا ويأتي على انواع هي : التعجب، القسم، صيغ المدح والذم، والعقود))([38]) ويتجلى ذلك في خطاب الامام الحسن (عليه السلام) والتي جاءت وفاق أساليب الأنشاء الطلبي، مبتدئين : ب (اسلوب الامر)

أسلوب الامر :

الأمر في اللغة والاصطلاح ((الامر نقيض النهي))([39]) .

والعرب تعدّ المأمور عاصياً إذا لم يفعل ما يؤمر به، لأنه ((إذا لم يفعله المأمور سمي عاصياً))[40] وقد ورد في خطبته عليه السلام في الرد على معاوية بصيغة الأمر قوله: ((ولكن أسمع يا معاوية ...))[41] . ان التحاورية سواء كانت بفعل الامر اوفعل اخر هي سمة أساس في كل حجاج، والحجاج في ابسط صوره حوار [42]، والمهم بهذه المقدمة ان يكون حوارا بين الامام الحسن عليه السلام، وبين المتلقي، وهذا الحوار يمكن ان نتستثفه من خطاب الامام الحسن بقوله: اذا اردتم ان تعرفوا من اين أصاب ماله فانظروا في أي شيء يُنفقه، فإن الخبيث يُنفق في السّرف فهو نص – على ايجازه – يطرح اكثر من سؤال اذ ما مفهوم الخبيث من المال ؟ أهوما تعدى الحلال الى الحرام ؟ وان كان كذلك فمن أي وجه يتأتى المال الحرام ؟ ثم ماهوالسّرف ؟ وماهي حدوده؟ لا سيّما في ضل ما يطرأ على المجتمع من تبدل وما يطرأ على أحوال الناس وطرائق عيشهم من تطور؟ ([43])

جاءت صيغة الخطاب بأسلوب الأمر حيث أُ ستعمل فعل الأمر ((أسمع)) ليودي دلالة الطلب المتمثل بالإصغاء الى المخاطب وهذا الاسلوب له دواعٍ لعل منها ما يستشف من المعنى اللغوي للأمر وهو الصدور على سبيل الاستعلاء الموحي بالتوبيخ لكي يشعر المخاطب (معاوية) بأنه في مستوى ادنى وان الامر يأتيه وعليه ان يستجيب ويذعن له، وهذه الصياغة استوجبتها حالة السياق وهو الردّ على رسالة معاوية وتفنيد دعواه واشعاره بمنزلته التي اقتضت امره وتوبيخه .

على هذا النحو ندرك ان خطب الامام الحسن عليه السلام قائمة بالأساس وكما بينا على الوظائف الحجاجية وهي نصوص مفتوحة على نصوص أخرى كثيرة منها يستمد قوته في الاقناع وقوته على الفعل والتاثير في الاخر .

الخاتمة

ان السؤال الوحيد الذي تحتمله الخاتمة – مع انها ليست حيّزاً للأسئلة –، هو: هل حققت الدراسة الغاية التي كتبت من اجلها ؟ وسؤال كهذا لا يستطيع الباحث الإجابة عنه وحده؛ لأن جزءاً من هذه الإجابة منوط بالقُّراء.

ومهما يكن من امر، فان النتائج التي تمخض عنها البحث الموسوم (الوظائف الحجاجية في خطب الامام الحسن (عليه السلام) هي كما يلي :

1- هي قد جاءت ردا على الذين يقولون بان الامام الحسن عليه السلام لا يملك خطابا.
2- استعمل أسلوب فعل الامر في الخطبه وهذه الصياغة استوجبتها حالة السياق وهو الردّ على رسالة معاوية وتفنيد دعواه واشعاره بمنزلته التي اقتضت امره وتوبيخه.

3- نجد في خطب الامام الحسن عليه السلام أنه قد وظف نوع من انواع الاستفهام الانكاري، اوالاستفهام المجازي، وهذا النوع من الاستفهام يتجلى عن معرفة الاجابة، كونه يقدم لغرض التوبيخ والتقريع .

الهوامش :

[1] – دراسات في الحجاج ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، ط1 ، عمان ، 2009م ص 4.

[2] – الخطابة: ارسطو: تحقيق عبد الرحمن بدري : دار الرشيد : بغداد : 1980م : 29 .

[3] – المصدر نفسه ، 23 .

[4] – خطب نهج البلاغة ، دراسة توصيلية ، 10 – 11 .

[5] – ينظر : فن الخطابة : أحمد الحوفي ، دار النهضة ، مصر ، ط4 ، 1972 م ، 208.

[6] – خطب نهج البلاغة ، دراسة تواصلية ، 10 – 11 .

[7] – مقاتل الطالبين : 35 ، وشرح نهج البلاغة 33 / 16 .

[8] – المصدر نفسه ص 40 .

[9] – ينظر : رسالة الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة _ دراسة حجاجية – 124 .

[10] – ينظر : شرح نهج البلاغة : 28/16 ، وينظر بحار الانوار : 44/ 50 .

[11] – المصدر نفسه ، ص 53.

[1212] – شرح نهج البلاغة : 6 / 289 – 294 : وينظر : جمهرة خطب العرب : 2 / 24 .

[13] – البيان والتبيين ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت255ه) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط2، 1960م ، 178.

[14] – الاتقان في علوم القران ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، ت911ه ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، 1967.

[15] – البداية والنهاية ، ابو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ، ت774ه ، تحقيق مجموعة باحثين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د،ت).

[16] – التاريخ الكبير : ابو القاسم علي بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن عساكر الشافعي (ت571ه) ترتيب وتصميم : عبد القادر افندي بدران ، روضة الشام ، 1332ه .

[17] – المصدر نفسه ص133.

[18] – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين نصر الله بن الأثير الجزري (ت637ه) تحقيق : كامل محمد عويضه ، دار الكتب العالمية بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998م .

[19] – اللغة والحجاج ، أبو بكر العزاوي ، العمدة في الطبع ، ط1، 2006م

[20] – دراسات في الحجاج ، سامية الدريدي ، ط1، عالم الكتب الحديث ، اربد ، 2009م .

[21] – الحجاج في خطب السيدة زينب (عليها السلام) المصدر نفسه .

[22] – الأحزاب :33

[23] – المائدة : 87.

[24] – مقاييس اللغة ، 2/ 239.

[25] – الايضاح في علوم البلاغة : 86.

[26] – المثل السائر : 2/ 203

[27] – شرح نهج البلاغة : 16 / 28 ينظر بحار الانوار :44/ 42 .

[28] – المصدر نفسه ص 42.

[29] – المصدر نفسه ص 43.

[30] – وصف المباني في شرح حروف المعاني ، احمد بن عبد النور ، تحقيق : احمد محمد الخراط : مجمع اللغة العربية : دمشق ، 1975، 313 .

[31] – لسان العرب ، مادة نشأ : 1 / 165 .

[32] – الايضاح : 230.

[33] – البلاغة والتطبيق ، 121.

[34] – ينظر علم المعاني – درويش الجندي : 33.

[35] – البلاغة والتطبيق ، 121.

[36] – ينظر: اساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي ، حسني عبد الجليل يوسف ، مؤسسة المختار ، دار المعالم ، (د. ت) : 11 .

[37] – ينظر : اساليب المعاني في القران ، السيد جعفر الحسبيني ، مطبعة مؤسسة بوستان ، ط1 : 2007 ، 66 .

[38] – ينظر علم المعاني – درويش الجندي ، 33.

[39] –لسان العرب ، 1/ 137.

[40] – مقايس اللغة : 1/ 137.

[41] – خطب الامام الحسن .

[42] – دراسات في الحجاج ، سامية الدريدي ، ص157

[43] – المصدر نفسه ص156.

المصادر والمراجع

- **القران الكريم**
- الخطابة ، ارسطو، تحقيق : عبد الرحمن بدري ، دار الرشيد ، بغداد ، 1980 .
- البيان والتبين ، ابوعثمان الجاحظ ، تح وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط2 ، 1960 .
- الاتقان في علوم القران ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، 1967 .
- البداية والنهاية ، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ، تح مجموعة باحثين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ، (د،ت) .
- التاريخ الكبير ، أبو القاسم علي بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن عساكر الشافعي ، تصميم عبد القادرافندي ، ايران ، روضة الشام .
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين نصر الله بن الاثير ، تح: كامل محمد عويضة ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، لبنان ، 1998.
- الحجاج في خطب السيدة زينب (عليها السلام) – دراسة تداولية– هادي سعدون العارضي ، دار تموز ، دمشق ، 2017 .
- الايضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، قدم له علي بن ملحم ، دار الهلال ، بيروت ،لبنان ، ط1 .
- العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، 261/7 .
- اللغة والحجاج ، أبو بكر العزاوي ، العمدة في الطبع ، ط1 ، 2006م.
- الحجاج في القران الكريم من خلال اهم خصاص الاسلوبية ، عبد الله صوله ، دار الفارابي، بيروت ، لبنان ، ط1، 200م .
- الحجاج في الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ، حسين بوبلوطه، رسالة ماجستير ، الجمهورية الجزائرية ،جامعة الحاج خضر، كلية الاداب، قسم اللغة العربية ،2010.
- الأسلوب ، دراسة لغوية إحصائية ، سعد مصلح
- الأسلوب والاسلوبية ، كراهام هاف
- أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي ، حسين عبد الجليل يوسف ، مؤسسة المختار ، دار المعالم ، (د ، ت) .

- أساليب المعاني في القران الكريم ، السيد جعفر الحسيني ، مطبعة مؤسسة بوستان ، ط1 ، 2007 .
- بحار الانوار ، 44 / 50 .
- تهذيب اللغة ، 8 / 318 ، مادة قبس .
- تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص – محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1985 .
- خطب الامام الحسن
- خطب نهج البلاغة ، دراسة تواصلية
- جمهرة اللغة ، 1/ 365 ، مادة قبس .
- جمهرة خطب العرب ، 2/ 5 .
- ظواهر فنية في لغة الشعر العربي الحديث ، علاء الدين رمضان ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق 1996 .
- لسان العرب ، 6/ 167 ، مادة قبس .
- دراسات في الحجاج ، سامية الدريدي الحسني، عالم الكتب الحديث، عمان ،ط1، 2009م.
- رسالة الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة – دراسة حجاجية –
- علم المعاني ، درويش الجندي
- فن الخطابة ، احمد الحوفي ، دار النهضة ، مصر ، ط4، 1972 .
- مقاتل الطالبين : 35
- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ، فخر الدين الرازي ، تح: إبراهيم السامرائي ، دار الفكر ، عمان ، 1985 .
- وصف المباني في شرح حروف المعاني ، احمد عبد النور ، تح : احمد محمد الخراط ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1975.